دلالة التكرار عند الطباطبائي في تفسير الميزان

د. رحيم كريم الشريفي
كلية التربية – جامعة ميسان

المقـــدمة: الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خاتم النبيين ، والمرسلين ، أبي القاسم محمد بن عبد الله ، واله الطيبين الطاهرين ، وعلى صحبه البررة المخلصين .

أما بعد ، فلما كانت ظاهرة التكرار في القران الكريم من الظواهر المهمة والشائعة في الدرس القرآني ، لما فيها من دلالات مركزية ، وثانوية كثيرة ، زيادةً على ذلك نجدها من الخصائص الفنية الدالة على إعجاز القرآن الكريم . وقد بحث هذه الظاهرة الكثيرون من اللغويين ، والبلاغيين والمفسرين ، مضمنيها هذه الظاهرة من جانب ، ومدلين على دلالاتها من جانب آخر ، فالدلالة العامة للنص بوساطة التكرار في النص بنفسه ينقلها إلى دلالة خاصة، مما تضفي على النص إيحاءات ، وتجليات واضحة، وبالنظر لأهمية هذه الظاهرة كما قلنا آنفا ، ارتأيت وعقدت العزم بحول الله عز وجل وقوته في بحث هذه الظاهرة ، ويكون تفسير المفسر الكبير ، والفيلسوف السيد محمد حسين الطباطبائي الموسوم بـ (الميزان في تفسير القران) ميداناً للبحث، وبعد قراءة دقيقة ، وفاحصة للآيات المباركة التي حوت التكرار، من جهة الحروف، والألفاظ ، والجمل والعبارات ، وما أشار إليه السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره من دلالات مختلفة ، شرعت

برسم خطة البحث ، فجاءت في مقدمة ومبحثين، وخاتمة ، تناولت في المقدمة أهمية الموضوع ، وسبب اختياره لكونه يخص ظاهرة دلالية مهمة في كتاب الله (عز وجل) . وهي ظاهرة التكرار ، ويكون تفسير الميزان الطريق المثلى للوقوف على هذه الظاهرة ، وجاء المبحث الأول بعنوان (دلالة التكرار تعريفاً) تحدثت فيه أولا عن الدلالة (لغة واصطلاحا)، وثانيا : التكرار (لغة واصطلاحا) ، وثالثا بحث دلالة التكرار باختصار عند علماء العرب القدماء والمحدثين ، رادا على الذين طعنوا في الظاهرة من جهة عدم كونها لا تكون دليلا على إعجاز القرآن الكريم ، وجاء المبحث الثاني بعنوان (دلالات التكرار في تفسير الميزان) . أظهرت فيه الدلالات والكثيرة التي أشار إليها الطباطبائي في تفسيره مرتبا إياها بحسب أهميتها ، وكثرة ورودها ، مع التعريف بالدلالات كلها مبينة ما تفرّد به الطباطبائي منها ، وذكر ما قيل فيها في التفاسير التي راجعتها ، ثم ختمت البحث، بخاتمة عرضت فيها جملة من أهم النتائج التي توصلت إليها ، واتبعتها بقائمة المصادر والمراجع، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

المبحث الأول

دلالة التكرار (تعريفاً)

أولا : الدلالة لغة واصطلاحاً :

١ – الدلالة لغة :

أ – الدلالة عند اللغويين العرب القدماء :

يفيد الاستقراء اللغوي لمادة (دَلَلَ) ، واشتقاقاتها في المعجمات العربية القديمة إلى ما يأتي :

- الدَّلالة : بفتح الدال وكسرها مصدر كـ(سَحابة) ، و (كِتابة) و (أمَارة) من دلَّ أو دَلَلَ[١] و الفتح أعلى[٢].
- فرّق بعضهم بين الدلالة بكسر الدال وفتحها قال الفيروز آبادي : " بالكسر ما جعلته له وللدليل وقد يفتح "[٣] فما كان للإنسان اختيار في معنى الدلالة فهي بفتح الدال . وما لم يكن له اختيار في ذلك فبكسرها[٤] .
- الاهتداء والإرشاد : دَلَه على الطريق ، وهو دَليلُ مَفَازةٍ وهم إدلاّؤها . وأدلت الطريق اهتدت إليه[٥].
- حسن الهيئة والمنظر والوقار ، تدللت المرأة على زوجها ، ودلتَ تدُلَّ وهي حَسَنةُ الدَّلِّ والدَّلال[٦].

---

[١] ينظر : العين / الخليل بن احمد : (دل) : ٨ / ٨

[٢] ينظر : مختار الصحاح ابو بكر الرازي : (دلل) ٢٠٩ .

[٣] القاموس المحيط : الفيروز آبادي : (دل) ٣ / ٣٧٧ .

[٤] ينظر : م . ن : ٣ / ٣٧٧ .

[٥] أساس البلاغة : الزمخشري : (دلل) ١ / ٢٨٠ .

[٦] ينظر : م . ن (دلل) : ١ / ٢٨٠ .

- يمكن أن نلمس ذكراً قريباً للدلالة قريب من مفهومها في العصر الحديث ، قال الراغب الأصفهاني (ت في حدود ٤٢٥ هـ) "الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب "[١] وقال (الزَّبيدي) (ت١٢٠٥ هـ) "الدلالة : كون اللفظ متى أطلق، أو أُحِسّ فهم منه معناه للعلم بوضعه "[٢].

ب – الدلالة (مصطلحاً) عند المحدثين :

عُدّ مصطلح الدلالة (semantics) من المصطلحات التي اتسم بالاتساع والشمول ؛ لأن هذا المصطلح مبهم إلى حد كبير إذ يتضمن أحيانا معاني متعددة[٣]، وهو في جوهر اللغة نفسها ، فليست اللغة نظاما من العلاقات فحسب ولكنها بالدرجة الأولى نظام من العلاقات الدالة ، و الوظيفة الإفهامية تظهر على سائر الوظائف اللغوية[٤] وقد تبلور هذا الفهم في العصر الحديث ، قال محمد حماسة : "وقد أصبحت الدلالة ، أو علم الدلالة ، أو نظرية الدلالة أو نظرية المعنى، أو علم المعنى منذ مطلع هذا القرن فرعاً من فروع البحث اللغوي معترفاً به في علم اللغة"[٥]، وهو يشترك اشتراكاً قوياً في المفهوم مع مصطلح المعنى. وقد استقر هذا المفهوم وتبلور عند البلاغيين و المناطقة ، والفلاسفة ، و الأصوليين فهو يعني كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والأول الدال ، والثاني المدلول ، والدال ان كان لفظا،

[١] مفردات ألفاظ القران : (دل) ٣١٦ – ٣١٧ .
[٢] تاج العروس : مرتضى الزبيدي : (دل) ٧ / ٣٢٤ .
[٣] ينظر : البحث الدلالي عند السيد محمد محمد صادق الصدر : د. رحيم الشريفي : ٣٢ .
[٤] ينظر : م . ن : الصفحة نفسها .
[٥] النحو والدلالة : محمد حماسه عبد اللطيف : ٣٢ .

فالدلالة لفظية وإلا فغير لفظية وكدلالة العقود ، والخطوط ، والنصب والإشارات[١].

وقد تطور مصطلح الدلالة على أيدي الدارسين الغربيين المحدثين ووضعت منه نظريات متعددة حتى صار علماً مستقلاً بذاته يعرف بـ (علم الدلالة)[٢].

وكان ابن فارس (ت ٣٩٥) الأقرب في الدلاليّين في الإطار والتحديد لمعاني الدلالة ومرجعها .

فقال : "ومرجعها إلى ثلاثة وهي : المعنى والتفسير والتأويل وهي متعاونة المفاصل"[٣].

وما سبق يمكن أن يتصور فهمين للدلالة هما :

١ – سمة لغوية : وهي تكمن في الدلالة على الشيء (بيان معناه لغة) .

٢ – سمة فنية : وهي ملاحظة إن التفسير للمعنى فيها الكشف عن الشيء الحقيقي (تفسير معناه)، وتجديد المصداق الخارجي الذي ينطبق عليه ذلك المعنى، بمعنى أن الدلالة هي بيان المعنى وإيضاحه وهذا ما ينطبق على السمة اللغوية ، والكشف عن المعنى الخفي (الباطن)، (الجوّاني) وهو ما يعبر عنه الأسلوبيون ، وإظهاره للخارج ، وملائمة هذا المعنى مع المعنى الخارجي له انطباقاً ، أو تضمناً ، أو ملازماً فانطباق اللفظ مع المعنى تمازجهما ، وانطباقهما وحدوث الحالة الفورية في الانسباق بينهما يمكن تسميته بالدلالة وهذا ما فهمناه من تعريف المناطقة ، والفلاسفة من قبل . قال الشريف

---

[١] ينظر : م . ن : ٢٣ .
[٢] ينظر : م . ن : ٢٣.
[٣] الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : ابن فارس : ١٩٢ .

الجرجاني : " الدلالة : كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال و الثاني هو المدلول "[١].

ثانيا : التكرار (لغةً و اصطلاحاً) :

١ – التكرار لغة :

جاء في اللغة : " وكرّرت عليه الحديث كرّا ، كررت عليه تَكْراراً وكَرَّر على سمعه كذا ، وتكرّر عليه ، و ناقة مكرّةٌ : تحلب في اليوم مرتين "[٢].

" ومحل ذلك كَرّة بعد كَرَّة وكِرَّات ، وآتيه في الكَرَّتين والقولين "[٣].

وقال أبو بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ) : "الكر بالفتح الخيط يصعد به على النحلة والكرة المدة والجمع الكرات" (...) وفرس (مِكَرٌّ) بالكسر يصلح للكر والحملة و (الكَرُّ) الرجوع وبابه (رَدّ) وكرر الشيء تِكراراً أو تَكراراً أيضا بفتح التاء وهو مصدر وبكسرها وهو اسم[٤] ويبدو أن الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) قد توسع في المعنى اللغوي لمادة (كَرَّ) واشتقاقاتها ، فقال : " أكد عليه أكْداً ، وكروراً ، وتكراراً ، عطف وعنه رجع فهو كَرَّار، ومِكَرٌّ بكسر الميم ، وكراراً تَكْراراً، وتِكْراراً وَ تكِرَّة كـ (تَحِلَّة) ، وكَرْكَرَه أعاده مرة بعد أخرى، والمكرار كمُعَظِّم الدَّاء والكَرِير كأمير صوت في الصدر كصوت المُنْخَنِقِ"[٥].

وقال : " والكرة المرة والحملة (...) وكَرْكَرَ ضَحك (...) وتَكَرْكَرَ تَرَدَّى في الهواء، والماء تراجع في مَسِيْلِهِ وفي آمره تَرَدَّدَ " وقال الفيومي : " كرّ الليل والنهار أي عودهما مرة بعد أخرى ، ومنه اشتق التكرار ، تكرير الشيء هو

---

[١] التعريفات : الجرجاني : ٩٣.
[٢] أساس البلاغة : (كرر) ٢ / ٣٠٢ .
[٣] م . ن : ٢ / ٣٠٢ .
[٤] مختار الصحاح: (كرر) : ٥٦٧ .
[٥] القاموس المحيط : (كر) : ٢ / ١٢٥.

إعادته مراراً والاسم (التكرار) وهو يشبه العموم من حيث التعدد ويفارقه بأن العموم تعيد نية الحكم بتجدد أفراد الشوط لا غير، والتكرار يتعدد فيه الحكم بتجدد الصفة المغلقة بتلك الأفراد "[١].

ومن خلال استقراء مادة (ك ، ر ، ر) ، نقول ان الدلالات الكثيرة لهذه المادة مردها أمر واحد ، وهو الإعادة مرة بعد أخرى ، فـ (مِكَرّ الفرس) ذهابه وإيابه عود الكر مرة بعد مرة أخرى ، أكد الحديث : أعادَهُ مرة أخرى ، وإرجاعه ، والكَرْكَرة الضحك المتواصل بمعنى إعادته واستمراره ، والكر في الحرب الاندفاع والهجوم مرة بعد أخرى ، ومعاودة الحملة ، وتَكَرْكر فلان بمعنى تردى في الهواء قُدّاماً ورُجُوعاً وتَكَرْكَرَ الماء في السيل تردد . فمن خلال هذه الدلالات يمكن أن نصل إلى معنى رئيس لدلالة لفظة (التكرار) وهي (مصدر التَّفْعَال) بفتح التاء وهي دلالة العود والإعادة مرة بعد أخرى ، وهذا ما صرحت به المعجمات اللغوية .

٢ – التكرار (اصطلاحاً) :

عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى[٢] .

وصفة التكرار : أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء أكان اللفظ متفق المعنى أم مختلفا أم يأتي بمعنى ثم يعيده وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول والثاني. وحقيقته "إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى خشية تناسي الأول لطول العهد به"[٣].

ثالثاً : دلالة التكرار عند علماء العربية :

---

[١] المصباح المنير : الفيومي مادة (كرر) : ٢٧٣ .
[٢] ينظر : التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن : ابن الزملكاني : ٩٤ .
[٣] البرهان في علوم القران : الزركشي : ٣ / ١١ .

١ – دلالة التكرار عند علماء العرب القدماء :

أشار ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) إلى ظاهرة التكرار، وأول ما أشار إليه هو تكرار الأنباء والقصص ، وتكرار الكلام من جنس واحد كتكرار :﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ (الكافرون/ آية ١) ، أو﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ (الرحمن / ١٣) فقال موضحا هذا التكرار : "إن القران الكريم نزل بلسان القوم ومذاهبهم ومن مذاهبهم التكرار الذي يقصد منه التوكيد والإفهام ، كما إن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز..."[١].

وقال ابن فارس : "إن من سنن العرب التكرار والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر كما قال الحارث بن عبادة :

قَرِّ با مَربط النّعَامَةِ مِنّي لَقَحَتْ حَرْبُ وائِلٍ عَنْ حِيَالِ

فكرّر قوله : "قَرِّ با مربط النعامة مني " في رؤوس أبيات كثيرة عناية بالأمر، وإرادة الإبلاغ"[٢].

والتكرار من أساليب الفصاحة ، بل هو من محاسنها[٣] لاسيما اذا تعلق بعضه ببعض ومن عادة العرب في خطاباتهم إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء عليه .. وإنما نزل القران بألسنتهم وكانت مخاطباته جارية فيما بينهم وبهذا نستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة وعلى ذلك يحتمل ما ورد في تكرار المواعظ والوعد والوعيد ، لان الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة وكلها داعية الى الشهوات ولا يقمع ذلك

[١] ينظر : تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة :٢٣٥ .
[٢] الصاحبي في فقه اللغة : ابن فارس : ١٥٨ .
[٣] ينظر : البرهان في علوم القران : ٣ / ٩ .

إلى التكرار تكرار المواعظ ، و القوارع ، قال تعالى: ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر ﴾ (القمر / ١٧).

وقال الزمخشري في تفسير هذه الاية " أي سهلناه للأذكار، والاتعاظ بأن نسجناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد[١] " ثم تارة يقول التكرار مرتين :

كقوله : ﴿ فقتل كيف قدّر ۞ ثم قتل كيف قدّر ﴾ (المدثر / ١٩ – ٢٠)،

وقوله : ﴿ أولى لك فأولى ۞ ثم أولى لك فأولى ﴾ (القيامة / ٣٤ – ٣٥)،

وقوله : ﴿ لترونّ الجحيم ۞ ثم لتروُنّها عين اليقين ﴾ (التكاثر/ ٦ – ٧)،

وقوله : ﴿ كلا سيعلمون ۞ ثم كلاّ سيعلمون ﴾ (النبأ / ٤ – ٥)،

وفائدته العظمى التقرير ، وقد قيل : " الكلام إذا تكرر تقرر " وقد اخبر الله سبحانه بالسبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والأخبار في القرآن،

فقال : ﴿ ولقد وصّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون ﴾ (القصص / ٥١)،

وقال : ﴿ وكذلك أنزلناه قرآنا عربياً وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدثوا لهم ذكرا ﴾ (طه / ١١٣)، وحقيقة إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى خشية تناسي الأول لطول العهد به فان أعيد به لا لتقرير المعنى السابق[٢] لم يكن منه كقوله ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ۞ وأمرت لأن أكون أول المسلمين ۞ قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ۞ قل الله أعبد مخلصا له ديني ﴾ (الزمر/ ١١ –١٤) فأعاد قوله :

---

[١] الكشاف : الزمخشري : ٤ / ٣٤١ .

[٢] ينظر : الكشاف : ٤ / ٣٤١ .

﴿ قل الله أعبد مخلصاً له ديني ﴾ بعد قوله : ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ أعاده لا لتقرير الأول له فيها بل لمعنى آخر؛ لأن المعنى الأول الإخبار به أنه مأمور بالعبادة لله، والإخلاص له فيها. ومعنى الثاني أنه يخص الله وحده دون غيره بالعبادة والإخلاص، ولذلك قدم المفعول على فعل العبادة في الثاني، وأخّر في الأول ؛ لأن الكلام أولاً في الفعل ، وثانياً فيمن فعل لأجله الفعل[١] .

وتعليق على هذا الرأي ، فان تكرار الأنباء والقصص في كتابه عز وجل قيلت فيه وجوه ، وأصح ما يقال فيه : إن الله جل ثناؤه جعل هذا القرآن إذ عجز القوم عن الإتيان بمثله مع انه نزل بلغتهم آية لصحة نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرر القصص في عدة مواضع إعلاماً منه بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء ، وبأي عبارة عبر .

وذكر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في كتابه البرهان في علوم القران فوائد التكرار فقال[٢] :

١. وإن التكرير أبلغ من التأكيد ، لأن التأكيد يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز فلهذا قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ كلاّ سيعلمون ۞ ثم كلاّ سيعلمون ﴾ (النبأ / ٤ – ٥) إن الثانية تأسيس لا تأكيد ، لأنه جعل الثانية ابلغ في الإنشاء فقال : "وفيه ثمة تنبيه إن الإنذار الثاني ابلغ من الأول"[٣] .

---

[١] ينظر : البرهان في علوم القران : ٣ / ١١ .
[٢] ينظر البرهان في علوم القران : ٣ / ١٧ .
[٣] م . ن : ٣ / ١٧.

٢. زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة نحو قوله تعالى : ﴿ وقال الذي آمن يا قومِ اتبعونِ أهدكم سبيل الرشاد ۞ يا قومِ إنما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وإنّ الآخرة هي دار القرار ﴾ (غافر/ ٣٨ – ٣٩) فانه كرَّر فيه النداء لذلك ، و أنا أؤيد قوله حيث إن التكرار هنا هو انه حينما استشعر مؤمن آل فرعون في قومه العناد والعتو أشفق عليهم ، وعلى سوء عاقبتهم فخاطبهم بهذا الخطاب ، وكرر عليهم هذه اللفظة وفيها من الرقة والتلطف والأسف عليهم ، لأنهم ضلوا طريق الرشاد والحق .

٣. إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانيا تجديدا لعهده كقوله تعالى :﴿ ولما جاءهم كتابٌ من عند الله ﴾، ثم قال : ﴿ فلما جاءهم ما عَرِفوا ﴾ (البقرة من الآية / ٨٩) فهذا تكرار للأول، لأن (لما) لا تجيء بالفاء .

٤. في مقام التعظيم والتهويل كقوله : ﴿ الحاقة ۞ ما الحاقة ﴾ (الحاقة/ ١ – ٢)، و ﴿ القارعة ۞ ما القارعة ﴾ (القارعة ١ – ٢) .

٥. في مقام الوعيد والتهديد كقوله : ﴿ كلاّ سوف تعلمون ۞ ثم كلاّ ستعلمون ﴾ (التكاثر/ ٣ – ٤)، وذكر (ثم) في المكرر دلالة على إن الإنذار الثاني ابلغ من الأول.

٦. التعجب كقوله تعالى : ﴿ فقتل كيف قدّر ۞ ثم قتل كيف قدّر ﴾ (المدثر/ ١٩– ٢٠) فأعيد تعجباً من تقديره، وإصابته الغرض على حد : قاتله الله ما أشجعه!.

٧. تعدد المتعلق كما في قوله تعالى : ﴿ فبأي آلاء ربّكما تكذّبان ﴾ (الرحمن/ ١٣) فقد تكرر وروده في السورة إحدى وثلاثين مرة وهي وإن تكررت فكل واحد متعلق بما قبله وإن الله خاطب الثقلين من الجن

والإنس وعدد عليهم نعمه التي خلقها لهم، فكلما ذكر فصلا من فصول النعم طلب إقرارهم واقتضاهم الشكر عليه.

ومن هذا النوع قوله تعالى : ﴿ ويلٌ يومئذٍ للمكذّبين ﴾ (المرسلات / ١٥) ، فقد تكررت عشر مرات ، لأنه سبحانه ذكر قصصاً مختلفة، وأتبع كل قصة بهذا القول، فصار كأنه قال عقب كل قصة " ويل للمكذبين بهذه القصة ! .

ولم يخرج السيوطي[١] (ت ٩١١ هـ) عن هذه الدلالات ، أو الفوائد التي ذكرها الزركشي وهذا أمر جلي ، فالسيوطي اعتمد في كتابه (الإتقان في علوم القران) على جل مباحث الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القران) حتى قيل : إن مادة الإتقان هي نفسها مادة البرهان ، وعلى أية حال فإننا سنذكر بعض هذه الفوائد التي ذكرها السيوطي وفاقا لمنهج البحث العلمي ، ومن هذه الفوائد التي ذكرها السيوطي ما يأتي :

١. التقرير : وهو إن الكلام إذا تكرر ، ثبت وقد نبه سبحانه وتعالى على السبب الذي من اجله كرر الإنذار فقال : ﴿ وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ﴾ (طه / ١١٣) .
٢. التأكيد.
٣. زيادة النسبة على ما ينفي التهمة ، وتلقي الكلام بالقبول
٤. تجديد الكلام ، وتكريره إذا طال وخشي تناسي الأول تكرر ثانياً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إذ قال يوسف لأبيه يا أبتِ إني رأيت أَحَدَ عَشَرَ كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ (يوسف / ٤).

[١] ينظر : معترك الأقران في إعجاز القران : السيوطي : ٣ / ٢٥٩ – ٢٦٠ .

٥. ومنها التعظيم والتهويل : نحو : ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ﴾ (الواقعة/ ٢٧)، فان اعترض على هذا النوع من التكرير، وعده من التوكيد قلنا : هو يشابهه، ويختلف عنه، ويزيد عليه، وينقص عنه فصار أصلاً برأسه ، ومنها لتعدد المتعلق بأن يكون المكرر ثانياً متعلقاً بغير ما تعلق به الأول نحو قوله تعالى :

﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ۞ وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ (الشعراء/ ٨ – ٩)، حيث تكررت ثمان مرات فأشار في كل واحدة منها إلى قصته التي ذكرت قبلها، وما اشتملت عليه من الآيات ، والعبر وقال تعالى : ﴿ وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم في الكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ﴾ (آل عمران/ ٧٨)، قال الراغب : الكتاب الأول ما كتبوه بأيديهم أي المحرف والكتاب الثاني: التوراة ، و الثالث: لجنس الكتب كلها ، ومنه أيضا تكرير حرف الإضراب في قوله : ﴿ بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر ﴾ (الأنبياء / ٥)، وقوله : ﴿ بل إدارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون ﴾ (النمل / ٦٦) ومن ذلك تكرير القصص القرآني كقصة آدم وموسى ونوح وغيرهم فقال : (ذكر الله موسى في كتابه في مائة وعشرين موضعا)[١].

وذكر الله قصة نوح في خمسة وعشرين موضعا وقد ألف البدر بن جماعة كتابا سماه " المختص في تكرير القصص " وذكر في فوائده :

إن في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله ، أو إبدال كلمة بأخرى لنكتة وهذه عادة البلغاء[٢] ومنها :

---

[١] ينظر : معترك الأقران في إعجاز القران : ٣ / ٢٦٠.
[٢] ينظر : م . ن : ٣ / ٢٦٠ .

إظهار الكلام الواحد في فنون كثيرة ، وأساليب مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة[١] وأرى : إن هذا التكرار في سرد القصة الواحدة في مواضع عدة والتباين في الأساليب في الطرح دون حصول ملل أو ضجر بل يكون القارئ شغوفا للسماع وكأنه يسمعها للمرة الأولى ، وأحسب أن هذا الإحساس بالجدة ، و الطراوة هي من دلائل الإعجاز في القران الكريم ، مع إن التكرار في غيره من القصص أو الكتب باعث على السأم والملل.

ومن فوائد تكرار القصص قي القران هو إن الدواعي لا تتوافر على نقلها كتوافرها بمثله على نقل الأحكام .

ومنها إعلام الكفار بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاؤوا ، وبأي عبارة حيث إن القصة الواحدة إذا تكررت فلها في كل موضع زيادة ، ونقصان ، وتقديم وتأخير، وأسلوب ، مباين ، فأفاد ذلك في ظهور الأمر العجيب في إخراج الأمر الواحد في صور متباينة النظم، وجذب النفوس لما جبلت عليه من حب التجديد .

وأزيد على ذلك أن[٢] النفوس البشرية حينما جبلت بالفطرة على حب القصص والحكايات والتأثر بها جعلها الله سبحانه في كتابه الخالد ليستخلص البشر منها الآيات والعبر والمواعظ فهي دروس سهلة وممتعة ففيها من الأمثلة البشرية الخيرة ، والأمثال الأخرى المضادة لها، فيستطيع كل من له لب حي أن يستلهم الأمثلة الخيرة في حياته ، وسلوكياته ، وأن يبعد الأمثلة السيئة من قاموس وجوده ويرى العلوي (ت ٧٤٥هـ) إن التكرار الوارد في القرآن الكريم على وجهين (١) :

---

[١] ينظر : م . ن : ٣ / ٢٦٠.

[٢] ينظر : الطراز (المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) : يحيى العلوي : ٧٤٩ .

١. أن يكون من جهة اللفظ أي تكرير المفردة أو الآية كالذي جاء في سورة الرحمن. من قوله تعالى : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ (الرحمن / ١٣) .

٢. أن يكون التكرير من جهة المعنى ، وهذا من تكرار القصص نحو قصة موسى وفرعون ، فإنها واردة في سور كثيرة . وكما ورد في قصة ادم وإبليس ، فطعنوا وقالوا : إن هذا التكرير لغير فائدة ، ولا يليق بما كان بالغاً في الفصاحة كل غاية.

٢ – آراء العلماء المحدثين في دلالة التكرار :

بعد أن عرضنا دلالة التكرار في القران الكريم عند علماء العرب القدماء ، نحاول في الصفحات القابلة أن نبين دلالة التكرار في كتاب الله عز وجل عند المحدثين ، فيرى الرافعي أن التكرار ودلالته معنى دقيق في الإعجاز ، والتحدي فقال : " وهنا معنى دقيق في التحدي ما نظن العرب إلا قد بلغوا منه عجبا ، وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القران الكريم تختلف في طرق الأداء ، وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة كالذي في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد ، وبسط الموعظة ، وتثبيت الحكمة ونحوها ، أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة ، وترديد المنة ، والتذكير بالنعم ، واقتضاء الشكر إلى ما يكون من هذا الباب ، وهو مذهب للعرب معروف ، ولكنهم لا يذهبون إليه في ضروب من خطاباتهم للتهويل والتفجع وما يجري مجراها من الأمور العظيمة "[١].

[١] إعجاز القران والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي ٢١٩ – ٢٢٠ .

وترى عائشة عبد الرحمن أن التكرار ظاهرة أسلوبية يعمد فيها إلى التكرار مع الإيجاز والقصد ، ترسيخا وتقريرا وامتناعا وهذا الأسلوب هو أقوى الاستدلال نقاءً وأقربه إلى المعنيين، وأشد إيحاءً[١] .

ويرى جعفر الحسيني إن : " ورود التكرار في القران الكريم دليل قيمة أدائه في التعبير البياني ، إذ قد خاطب العرب بما يألفون من الأساليب ، وما من شك فإن العرب قد عرفت التكرار منذ القدم وأدركت مراميه، يدلل على ذلك ما حفل به شعرهم من تكرار الأسماء والمواضع في مواقف مختلفة بقصد الاستيعاب، أو الدعاء، أو تقرير المعنى في ذهن السامع، أو مجرد التلذذ، أو غير ذلك"[٢] .

وذهب نصر حامد أبو زيد إلى إن التكرار في بعض الآيات القرآنية يمثل علاقة على وجود نوع من الترابط اللغوي وهذه العلاقة لا تحتاج إلى هذا القدر من التأويل "[٣] وذهب صبحي إبراهيم الفقي إلى إن ظاهرة التكرار تمثل عاملا من عوامل تماسك النص ، وتسهم في تحليل النص شكلاً ودلالة[٤] .

ويرى الدكتور رحيم الشريفي : أن التكرار بمستوياته المختلفة من جهة الحروف والكلمات والعبارات والجمل والفقرات والقصص والمواقف دليل على إن المكرر من هذه المستويات له دلالة جديدة وطريقة أداء وفهم لا يوجد في المستوى الأول ينبه عليه ويلفت النظر للسامع ويشده ، بمعنى إن التكرار ينقل الدلالة في النص من مجال إلى آخر لهذا تعددت الأغراض والفوائد لظاهرة التكرار[٥] .

---

[١] التفسير البياني للقرآن الكريم : عائشة عبد الرحمن ١ / ٦٨ .
[٢] أساليب البيان في القرآن : ٨٦.
[٣] ينظر : مفهوم النص : نصر حامد أبو زيد ١٦٦ .
[٤] ينظر : علم اللغة النصي : الفقي : ٢ / ١١٠ .
[٥] ينظر : البحث الدلالي عند السيد محمد صادق الصدر : ٤٠٩ .

وهناك أغراض أخرى ذكرها المحدثون منها : استرعاء الانتباه إلى عاطفة معينة كالحزن والفرح ، التذكير بنعم الله عز وجل ، والمدح ، والاستبعاد ، واستماله المخاطب، وترغيبه. ومن الباحثين المحدثين الذين عنوا بهذه الظاهرة محمد محمد صادق الصدر فهو يرى أن التكرار في القرآن هو من إعجاز القرآن ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ۞ خلق الإنسان من علق ۞ اقرأ وربك الأكرم ۞ الذي علم بالقلم ۞ علم الإنسان ما لم يعلم ۞ كلاّ إن الإنسان ليطغى ۞ ﴾ (العلق/ ١- ٦) قال : " ينبغي أن نلتفت إلى أمر قلما يلتفت إليه الناس حتى الأدباء، وهو إن خمس، أو ست كلمات مكررة في سطرين من الكلام في أول هذه السورة الشريفة مع حفظ المستوى البلاغي للقران وهي : اقرأ ، وخلق ، وربك ، وعلَّم ، والذي ، والإنسان ، والأخيرة مكررة ثلاث مرات اثنتان منها في خمس آيات صغار ، والثالثة في السادسة فإذا سطرت هذه الكلمات المكررات ملأت سطرين أو أكثر، فينبغي لذلك أن يكون الكلام سمجاً ، مع انه قد صاغه في غاية الرصانة والبلاغة (...) وهذا من إعجاز القران الكريم "[١] ويبدو أن الصدر قد ركز على الغرض الرئيس للتكرار وهو التأكيد والتركيز فضلاً عن غرض الاهتمام بالأمر وأهميته وقد فصل في بيان قوله تعالى في سورة العلق آية ١ – ٢ إن كلا العبارتين : " اقرأ " واحدة في المعنى . فيكون السياق واحدا ويكون المتأخر كأنه مدخول للمتقدم والتكرار إنما هو للتأكيد أو للتوصل إلى مدخولها فيكون وصفا للنعمة في لغة الإنسان وتعليمه فيكون المجموع مناسباً مع القراءة[٢]. والتكرار في الفعل (اقرأ) يُعد فصلاً بين مستويين من النص .

[١] منة المنان في الدفاع عن القرآن : محمد محمد صادق الصدر : ١ / ٣٤٠ .
[٢] ينظر : م . ن : ١ / ٣٣٦ – ٣٣٧ .

المستوى الأول : الحضور الخطابي معبر عنه بصيغة الأمر الدالة على الحال والاستقبال ، وبضمير المخاطب في ربك .

والمستوى الثاني : مستوى الغياب المُعبَّر عنه بالأفعال الماضية من جهة (خلق)، (علَّم) وبضمائر الغائب على المستوى النحوي من جهة أخرى ، والقول بتكرير (اقرأ) لدلالة التأكيد هو إخبار أغلب المفسرين ممن تحدثوا عن هذا التكرار.

وأعلق بدوري فأقول : من هذا نستخلص إن دلالة التكرار في القرآن الكريم فيها من الإعجاز البياني ما لا ينكر على ذي بصيرة ويستطيع الاستدلال عليه من ورود القصة الواحدة وحيثياتها مكررة في مواضع مختلفة وأساليب متباينة ونظم متعددة مما جعلنا ونحن نقرأها في تلك المواضع المتعددة نشعر بأنها غضة وطرية ومستجدة ، لأننا نجد مع كل نظم وأسلوب صورة جديدة تنقلنا لمكان الحدث وتصوره وتصور شخوصه وهو إعجاز بلاغي أيضا، لما فيه من تقدم وتأخر وزيادة ونقصان وفصل ووصل ، وغيرها من الأساليب البلاغية وهي مع ذلك ظلت محتفظة بأرفع الدلالات ، وأعلاها قيمة ، بل نجد أن هناك دلالاتٍ إضافيةً تعنى في المحتوى ، وإذا تدبرنا فيها وجدنا أنها حوت أسراراً بليغةً، ودقيقةً لم نكن لنعهدها في صورتها الأولى .

ونستطيع أن نستخلص من استقرائنا لآراء العلماء العرب القدماء والمحدثين في ظاهرة التكرار أنهم على اتفاق وتوائم من حيث الرأي والفهم لهذه الظاهرة في أنها من البيان والإعجاز القرآني ما لا ينكر وفيها من الدلالات المتعددة والمتنوعة التي تعنى بالنص القرآني وترقى به سواء أكان في تكرار الألفاظ، أم الحروف، أم الجمل، أم غيرها من القصص القرآني وهم قد أشاروا إليها جميعا والتفتوا إليها بالبحث والتفسير ، وقد رد على مَنْ طعن في ما جاء في القرآن الكريم من تكرار القصص هو ليس من الإعجاز العلمي والقرآني . وقد أجيب

عن هذا الأمر من جهة أن الله تعالى إنما كرر هذه القصص ومن جهة ثانية انه كرر القصص ومن جهة ثالثة أن الله سبحانه وتعالى تحدى العرب بالإتيان بمثل هذا القرآن ولو بسورة ولو بآية وإنما توهم متوهم أن الإتيان بمثله مستحيل من جهة الله تعالى . فلا حرم كرر القصص ليتعلم انه غير مستحيل من جهة كأنما الاستحالة كانت متعلقة بالحق دونه . فهذه الأمور كلها دالة على جواز التكرار بمثل هذه الأغراض الحسنة[١] وأيضا حتمية التكرار للموضوع الواحد والألفاظ والتراكيب، والوحدة ليتحقق المنهج الموضوعي للقرآن الكريم في أداء رسالة[٢].

ويرى بعضهم إن تكرار القصص في القرآن الكريم هو تكرار القصة الواحدة بأساليب مختلفة وألوان من القول العجيب المضحك ورأوا أن التكرار عجز بياني ، وقصور فني وأقول ، عجباً لكم وأيَّ عجبٍ !! أما درستم التاريخ ؟ أما عرفتم أن المعركة التي كانت بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين المشركين من قريش والعرب كانت على أشدها وإنهم استخدموا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الأسلحة كلها ثم تحداهم القران بأحسن عبارة في التحدي فعجزوا رغم أنوفهم[٣]. وقال الباقلاني: " وان أردنا أن نثبت ما قلناه فصلَ تبيين وتحقق لما ادعيناه زيادة تحقق فإن كنت من أهل الصنعة فاعمد إلى قصة من هذه القصص آو حديث من الأحاديث فعبر عنه بعبارة من جهتك واخبر عنه بألفاظ من عندك حتى ترى من النقص الظاهر وتبين في نظم القرآن الدليل الباهر ولذلك أعاد قصة موسى في سور وعلى طرق شتى وفواصل مختلفة مع اتفاق المعنى "[٤].

---

[١] ينظر: الطراز : ٦٠٣ ، ٦٠٤ .
[٢] ينظر : الوحدة الموضوعية في القرآن : ٣٦ .
[٣] ينظر : م . ن : ٣١٩ – ٣٢١ .
[٤] إعجاز القرآن : الباقلاني : ١٩٠ .

وظاهرة التكرار في القرآن الكريم ظاهرة لافتة للنظر. ففي كلامنا نحن البشر عندما يعرض علينا موقف لغوي ووحدات لغوية بذاتها أو موقعيه تعينها قد لا تسعفنا القريحة بغيرها سواء حدث لنا ذلك في مواقف الحياة العامة عندما تتفاعل اللغة بالمجتمع في خضم الواقع اليومي. فإن يعرض علينا من حالات تكرار الكلمات قد نجد فيه ما يتحد بقصصه تتناوله الألسنة والأقلام أو قد يكون مثار سخرية. بل إن تكرارنا لبعض القصص في موقف التسلية قد يكون مدعاة ملالة وسأم. ولكن الشيء الذي يلفت النظر أن التكرار في القرآن الكريم تستريح له النفس ويتقبله الطبع ويحس المستمع له باستجابة يدرك عمقها كما يدرك بقية المظاهر الحقيقية من ملاحة وجهه، وطيب نعم، واستقامة وزن، وسلامة طبع وغير ذلك[1] .

المبحث الثاني

دَلالاتُ التَّكْرَار عند الطَّباطبائيّ

في تفسير المِيزانِ

سنحاول في هذا المبحث إن شاء الله تعالى أن نبين الدلالات التي ذكرها الطباطبائي في تفسيره الميزان، وقبل أن نظهرها لابد من الإشارة بإيجاز إلى السيد الطباطبائي، وتفسيره الميزان فنقول : إن المفسر هو السيد محمد

[1] ينظر : ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين : البدراوي زهران : ٣٧.

حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ) الحسيني ينتهي نسبه إلى الإمام الحسن ابن الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام، وهو مجتهد يتمتع بمكانة علمية رفيعة في التدرج العلمي عند الإمامية، وله قابلية على استنباط الأحكام الشرعية ، وقد اضطلع بعلوم كثيرة منها علم الفقه ، وعلم الأصول، والفلسفة ، واللغة ، وعلم الكلام[١].

أما تفسير الميزان فاسمه الكامل هو (الميزان في تفسير القرآن) ، وهو كتاب : علمي ، وفني ، وفلسفي ، وأدبي ، وتأريخي، واجتماعي ، وحديث ، تفسير القرآن بالقرآن وقد جعل مؤلفه بحسب تسميته بـ (الميزان) وسيلة ، ومقياسا لمعرفة وزن التفاسير، والمفسرين ، أو أنه أراد بهذا العمل أن يرسم منهجا له مقاييسه الخاصة به يقاس عليه مناهج المفسرين ليبين فيها المستقيم وغير المستقيم ، فيكون معيارا لنفسه وللآخرين، قال الطباطبائي : "والميزان في كل باب من العمل هو الحق الذي يشتمل عليه ذلك العمل"[٢]، وفي اعتقادي أن مما هدى الطباطبائي إلى تسمية تفسيره هذا بالميزان هو كثرة ما عرض فيه من آراء المفسرين، وغيرهم ، وتعرضه لها بالمناقشة فكان كثيراً ما يوازن ويرجح بين الآراء السابقة عليه في الموضع الواحد مؤيدا لبعضها ، ورافضاً لبعضها الآخر، وقد حظي هذا التفسير باهتمام الباحثين والدارسين والمحققين للتوافر على تناول مكونات منهجه التفسيري كافة ، يقول الدكتور رحيم الشريفي وهو يدرس تفسير الميزان نحويا : "إن كتاب الميزان يُعَدُّ موسوعةً علميةً لا يستغني عنها الباحث اللغوي، والنحوي، والبلاغي، والفلسفي، والاجتماعي"[٣].

---

[١] ينظر : الدرس النحوي في تفسير الميزان : رحيم الشريفي : (رسالة ماجستير) : ٨-١٢.
[٢] الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي : ١ / ١.
[٣] الدرس النحوي في تفسير الميزان (رسالة ماجستير) : ٢٦.

وعوداً على بدءٍ نقول : إنَّ دلالة التكرار في القرآن الكريم وما تؤديه هذه الظاهرة من دلالات متعددة ، أغنت اللفظ بمعانٍ ، ودلالات جديدة ، وفيها آية واضحة على إعجاز القران الكريم وتحديه للعرب الذي نزل بلغتهم ، فما كان من المفسرين إلا الاهتمام بها ، وإلقاء الضوء عليها ، وكان لهذه الدلالة من الاهتمام ، والحضور الكبير لدى الطباطبائي في تفسيره ، وأولاها عنايته الكبيرة فميزت تفسيره عن التفاسير الأخر ، وأعطاها من الدلالات الكثيرة المتنوعة ، وقد أفاد من دلالة السياق القرآني في إظهار هذه الدلالات المتنوعة من جهة ، وأضاءه النص القرآني من جهة أخرى ، وتعضيد هذه الدلالات بالأدلة العقلية ، والعلمية ، واللغوية و ألقى الضوء على دلالة التكرار للتوكيد ، وهي عنده أم الدلالات ، ودلالة رئيسة للتكرار ، وثمة دلالات أخر ، وقفنا عليها في تفسيره ،وقد أوضح عمر أبو خرمة دور السياق في تنوع الدلالات فقال : " عندما تتعدد التنويعات السياقية للنص ، أو يحدث تكرار في النص ، فان هذا يعود إلى معانٍ إضافية مختلفة عن المعاني التي قدمها النص "[١] أي إن التكرار في النص القرآني يعود إلى دلالات إضافية مختلفة ، وهذه الدلالات ليست نقيضا للدلالة الأولى وليست مشابهة لها في الوقت نفسه فهي مختلفة عنها بمعنى : " إن الحذف والتكرار والإظهار على سبيل المثال لا الحصر من مباحث نحو الأسلوب من جهة أثرها في النص ، وعلاقتها بالمعنى المتحصل في دلالتها ترتيبا وتركيبا واختبارا وهذا يعود إلى وجود هذه الظواهر في النص ليست غاية في ذاته ، بل هو وسيلة لتعدد المعاني"[٢]، فالنص متحقق بل هو واجب الاتساق، وهذا الاتساق دلالي لا نحوي"[٣].

---

[١] نحو النص ، نقد النظرية ..... وبنا أخرى : د – عمر ابو خرمة : ٧١.
[٢] م . ن : ٧١.
[٣] ينظر : م . ن : ٧٢ .

ومن هذه الدلالات دلالة التعظيم والتهويل ، ودلالة الإرشاد والترغيب ، ودلالة التأليف ، ودلالة التخصيص ، ودلالة الترتيب ، ودلالة الاهتمام بالأمر ، ودلالة السياق، ودلالة التعليل ، ودلالة المبالغة ، ودلالة وضع الظاهر موضع المضمر ، ودلالة التعلق وغيرها ، وسنحاول أن شاء الله تعالى أنْ نقف على هذه الدلالات المتنوعة التي أشار إليها الطباطبائي ، مرتبين هذه الدلالات وفاقا لكثرة ورودها عنده ، معرفين كل دلالة وشافعين حديثنا عنها بالآية القرآنية التي ذكر الطباطبائي دلالتها .

أولا : دلالة التأكيد :

التوكيد والتأكيد لغتان ، والواو أفصح[١]، جاء في القران الكريم قال تعالى : ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾ (النحل/ من الآية ٩١) ومعناه في اللغة الإحكام[٢] والتأكيد : تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة او الشمول ، وقيل : عبارة عن إعادة المعنى الحاصل قبله[٣].

في الاصطلاح "تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره وفائدته : إزالة الشكوك ، وإماطة الشبهات ، كما أتت بصدده وقد فصّل النحويون القول في التوكيد ، وقسموه قسمين لفظي ، ومعنوي ، فاللفظي يكون بتكرير اللفظ ، ويكون في الأسماء ، والحروف، والأفعال ، والجمل ، وكل كلام نريد توكيده ، نقول في الاسم : رأيت زيدا زيدا ، والله أكبر الله أكبر"[٤]، التأكيد اللفظي : هو أن يُكَرّر اللفظ الأول[٥] .

---

[١] ينظر : مختار الصحاح : (أكد) : ٢٠.
[٢] ينظر : م . ن : (أكد) : ٧٣٤.
[٣] ينظر : الدلالة القرآنية في فكر محمد حسين الطباطبائي : ٢٥٠.
[٤] التعريفات : علي بن محمد الجرجاني : ٧٦.
[٥] ينظر : الدلالة القرآنية في فكر محمد حسين الطباطبائي : ٢٥١.

أما التوكيد المعنوي فهو إعادة اللفظ المراد توكيده بلفظ آخر، فإذا قلت : زيد مريض، فانك في سياق جملة اعتبارية لكن حينما تقول : زيد نفسه مريض ، تريد إن زيدا لا غيره مريض . ويبدو أن نظرة الطباطبائي هي إزالة الشكوك فإذا كررت فقد قررت المؤكد وما علق في نفس السامع[١]. وتمكين المعنى في نفس المخاطب ، في حين إن الطباطبائي ينظر إلى التوكيد نظرة دلالية ويفترض وجود معنى آخر ابعد من إزالة الوهم وتمكين المعنى الأول ، فيقول : " وكل موضوع ادّعى فيه أنه للتأكيد من غير فائدة مجددة فيه فائدة مفهومه " لذلك يرفض حمل المفعول المطلق في قوله تعالى: ﴿ فإنه يتوب إلى الله متابا ﴾[٢] (الفرقان / من الآية ٧١) على مجرد التوكيد فيقول : "ما ورد هذا المصدر للتأكيد على ما تقوّلَهُ قوم ، بل لفائدة مجددة ، لأنه تعالى أراد متاباً جميلاً مقبولاً واقعاً في موقعه فحذف ذلك اختصاراً ، كما يقول العربي الفصيح في الشعر المستحسن : هذا هو الشعر ، وإنما حذف اختصارا والمراد هو الشعر المستحسن "[٣] فعند حديثه عن دلالة تكرار لفظ (السابقون) في قوله : ﴿ والسابقون السابقون ﴾ (الواقعة / ١٠)، يرى الطباطبائي أنَّ لفظ (السابقون) الأول السابقون بالخيرات من الأعمال وإذا سبقوا بالخيرات سبقوا إلى المغفرة والرحمة التي بأجزائها كما قال تعالى: ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنةٍ ﴾ (الحديد / من الآية ٢١) وتؤيدها الآيات : ﴿ فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنه مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بأذن الله ﴾ (فاطر / من الآية ٣٢)، و ﴿ أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ (المؤمنون / ٦١

---

[١] ينظر :التعريفات / ٧٦ .
[٢] ينظر : الدلالة القرآنية في فكر محمد حسين الطباطبائي : ٢٥٢
[٣] الميزان في تفسير القران : ٢٠ : ١٩ – ١٢١.

) وقيل : المراد بـ (السابقون) الثاني هو الأول على حد قوله : أنا أبو النجم، وشعري شعري.

﴿والسابقون السابقون﴾ مبتدأ وخبر وقيل : الأول مبتدأ ، والثاني تأكيد والخبر قوله : ﴿ أولئك المقربون ﴾ (الواقعة / ١١)[١] وقد ذكر الطباطبائي في غير موضع من الميزان ، أن دلالة التأكيد هو غاية التكرار، وفائدته ، ولم يشر إلى دلالة التأكيد هنا في لفظــة (السابقون) المتكررة ، لأنه يعدها دلالة مركزية ، ورئيسة وهي أم الدلالات لديه فهو في غنىً عن ذكرها .

وهذا ما فهمه الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) من قبل فقال : " يريد والسابقون من عرفت حالهم وبَلَغَكَ وَصْفَهُمْ كقوله : وعبد الله عبد الله وقول أبي النجم : وشعري شعري كأنه قال : وشعري ما انتهى إليك ، وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون الثاني تأكيداً و أولائك المقربون خبراً وليس بذاك. ووقف بعضهم على (والسابقون) وابتدأ ﴿ والسابقون السابقون ۞ أولئك المقربون ﴾ ، والصواب أن يوقف على الثاني ؛ لأنه تمام الجملة وهو في مقابله ﴿ فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ۞ وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ﴾ (الواقعة / من الآيتين ٨ – ٩)"[٢] .

وقد أكد الطبرسي (ت – ٥٤٨ هـ) هذا الفهم ، (فالسابقون) هم الصْنف الثاني بعد أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ، ويقصد بهم السابقون إلى إتباع الأنبياء وقيل : السابقون إلى طاعة الله وهم السابقون إلى رحمته والسابقون إلى الخير إنما كان أفضل ؛ لأنه يقتدي به في الخير، وسبق إلى أعلى المراتب، فلهذا تميز بين التابعين وعلى هذا يكون السابقون الثاني خبراً

[١] م . ن : ٢٠ : ١٩ – ١٢٢.
[٢] الكشاف : ٤ / ٦٥.

عن الأول، ويجوز أن يكون الثاني تأكيدا للأول، والخبر أولئك المقربون أي والسابقون إلى الخيرات يقربون إلى رحمة الله في أعلى المراتب[١].

وعند بيان دلالة تكرار قوله تعالى : ﴿ فقتل كيف قدّر ۞ ثم قتل كيف قدّر ﴾ (المدثر /١٩ – ٢٠)، أظهر الطباطبائي دلالة التكرار، فالتفكير معروف وهو الذي يحصل لدى الإنسان، والتقدير عن تفكير نظم معان ، وأوصاف في الذهن بالتقديم والتأخير لاستنتاج غرض مطلوب ، كان الرجل يهوى أن يقول في القرآن شيئاً يبطل به دعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقدَّر أن يقول سحراً من كلام البشر وقوله : "كأنما هو دعاء عليه على ما يعطيه السياق نظير قوله تعالى : ﴿ قاتلهم الله أنّى يؤفكون ﴾ (التوبة / من الآية ٣٠) ، وقوله : ﴿ ثم قتل كيف قدّر ﴾ تكرار الدعاء تأكيد[٢]، ويبدو في تفسير الطباطبائي وبيانه لهذا التكرار أنه أشار إلى دلالة التكرار مستعينا بالقرينة المنفصلة وهي قوله تعالى : ﴿ قاتلهم الله أنّى يؤفكون ﴾ وهذا ديدنه في تفسير القرآن بالقرآن في الميزان ، وقال الزمخشري في تفسير الآية نفسها ، تعجبت من أمر تقديره، وإصابته، ورمية الغَرض التي كانت قريش ترتضيه أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به كما يقول القائل: " قتله الله ما أشجعه ، وما أشعره " ومعنى ثم الداخلة في تكرار الدعاء دلالة على إن الكرة الثانية ابلغ من الأولى[٣]. ونرى أن الزمخشري قد أفاد من كلام العرب في إيضاح هذه الدلالة، على عكس الطباطبائي الذي أفاد في إظهار هذه الدلالة من كلام الله نفسه ، وقال الطبرسي في الآية نفسها انه فكَّرَ ودَبَّر ماذا يقول في القران، وقدَّر القول

[١] ينظر : مجمع البيان : ٥ / ٣٨٨.
[٢] ينظر : الميزان : ٢٠ / ٩٤
[٣] ينظر : الكشاف : ٤ / ١٨٣

في نفسه ليحتال به للباطل ؛ لأَنه لو كان على طريق الإرشاد لكان ممدوحا فلعن وعذّب على تقديره ، ﴿ ثم قتل كيف قدّر ﴾ هذه تكرير للتأكيد[١] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينّك قبلة ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ (البقرة / من الآية ١٤٤) قال الطباطبائي : "الشطر البعض ، وشطر المسجد الحرام هو الكعبة حيث حول الله القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة ، وقوله تعالى : ﴿ ومن حيث خرجت فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ وفي تكرار الجملة الأولى بلفظها للدلالة على ثبوت حكمها على أي حال كقول القائل : " اتق الله إذا قمت ، واَتق الله إذا نطقت ، واتق الله إذا سَكَتْت " يريد التزام التقوى عند كل واحدة في هذه الأحوال . ولو قيل اتق الله إذا قمت ، وإذا قعدت ، وإذا نطقت ، وإذا سكت . فاتت هذه النكتة"[٢] .

ويرى الزمخشري إن هذا التكرار لتأكيد أمر القبلة وتشديده ، لان النسخ مضانّ الفتنة، والشبهة، وتسويل الشيطان ، فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدّوا ولأنه نيط بكل واحدٍ ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها[٣] .

وقد فصل الطبرسي في الآيات الكريمات فقال : " قيل في تكرار قوله تعالى: ﴿ فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ قولان : أحدهما أِنه لما كان فرضاً نَسَخَ ما قبله كان من موضع التأكيد ليعرف إلى الحال الثانية بعد الأولى على يقين ، الثاني : إنه مقدم لما يأتي بعده ويتصل به ، فأشياء كثيرة كقولك : زيد كريم ، وزيد عالم ، وزيد حليم وقال في تكرار قوله تعالى : ﴿ ومن حيث خرجت ﴾ ثلاثة أقوال : أحدهما اختلاف المعنى ، وإن اتفق اللفظ، لأن المراد

---

[١] ينظر : مجمع البيان : ٥ / ٣٨٨
[٢] ينظر : الميزان : ١ / ٣٢١ – ٣٢٣ .
[٣] ينظر : الكشاف : ١ / ٢٣١.

بالأول من حيث خرجت منصرفاً عن التوجه إلى بيت المقدس ، والثاني أين كنت في البلاد متوجهاً نحو المسجد الحرام ؛ لأنه في موضع التأكيد بالنسخ الذي نقلوه من جهة إلى جهة التقرير والتثبيت"[١].

وعند بيان دلالة تكرار لفظ (الربا) في الآيات المباركة الآية : ﴿ الذين يأكلون الربى لا يقومون ... إنما البيع مثل الربى وأحلّ الله البيع وحرّم الربى ﴾ (البقرة / من الآية ٢٧٥) و قوله تعالى : ﴿ يمحق الله الربى ويربي الصدقات ...﴾ (البقرة / من الآية ٢٧٦) ، وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربى إن كنتم مؤمنين ﴾ (البقرة / من الآية ٢٧٨)، فقد تكررت لفظة (الرِّبا) في هذه الآيات ، وتكريرها مسوق لتأكيد حرمة الربا والتشديد على المرابين، وليست مسوقة للتشريع الابتدائي ، ويظهر أن الربا كان أمراً مرغوباً عنه في أوائل عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل الهجرة ، حتى تم أمر النهي عنه في " آل عمران " ثم اشتد النهي عنه في سورة البقرة بهذه الآيات الذي يدل سياقها على تقدم نزول النهي عنه[٢].

ويرى الزمخشري أن هذه الآيات تدل على التغليظ في أمر الربا ، وإيذان بأنه من فعل الكفار، لا من فعل المسلمين وان دليل صحة المؤمنين ، وثباته امتثال ما أمرتم به من ذلك[٣] وقال الطبرسي : أصل الربا الزيادة . في قوله ربا الشيء يربو إذا زاد والربا هو الزيادة على رأس المال وأربى الرجل إذا عامل في الربا، والربا يضنه الجاهل زيادة وهو في الحقيقة مَحْقٌ للمال، وعلة تحريمه هي إن فيه تعطيل المعاش ، والمتاجر وعن الصادق (عليه السلام) إنما شدد في

---

[١] ينظر : مجمع البيان : ٢ / ٤٣١.
[٢] ينظر : الميزان : ٢ – ٤١٢.
[٣] ينظر : الكشاف : ١ – ٤ .

تحريم الربا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف، وشدَّدَ الله في هذه الآيات عن أخذ الربا لما فيه من المفسدة وفيها تأكيد التشديد[٢].

وعند بيان دلالة تكرار مادة (قسم) في قوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ۞ وإنه لقسمٌ لو تعلمون عظيم ﴾ (الواقعة / ٧٥ – ٧٦)، إن (لا) زائدة ، واقسم هو القسم وقيل : (لا) نافية أي اقسم بمثال النجوم في السماء وقوله تعالى : ﴿ وإنه لقسمٌ لو تعلمون عظيم ﴾ تعظيم لهذا القسم، وتأكيد على تأكيد، فالتأكيد الأول هو (اللام) التي تفيد التأكيد ، والتأكيد الثاني هو تكرار لفظ (قسم) ، ووصف القسم بـ (عظيم) وقد فصل بين الموصوف والصفة بالجملة الشرطية التي لا محل لها من الإعراب، وهي جملة (لو يعلمون)، .. مما زاد التأكيد قوة[١]، وقد أوضح الزمخشري والطبرسي السر البياني لهذه الآية المباركة فإن (لا) زائدة مؤكدة مثلها في قوله تعالى : ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ﴾ (الحديد/ من الآية ٢٩)، وقرأ الحسن فلا أُقسم ، واللام في هذه للابتداء ، والرأي الثاني للتشديد أي إن القسم بمواقع النجوم واقع وتدل عليه القراءة الثانية على زيادة (لا) وفي قوله : ﴿ وإنه لقسمٌ لو تعلمون عظيم ﴾ ، اعتراض فيه اعتراض فالجملة الكبرى اعتراض بين القسم والجواب واعتراض لو تعلمون بين الموصوف وصفته ، والسر البياني الذي أشار إليه الزمخشري والطبرسي هو تأكيد القسم الثاني من خلال وصفه ونعته بـ (العظيم) من جهة ، وكون هذا النعت (الصفة) لم يأتِ بعد الموصوف مباشرة ، بل فصل بينه وبين صفته بفاصل وهو جملة (لو تعلمون) الجملة الشرطية وهو أمر يعطي قوة للقسم[٢].

ثانيا – دلالة التعظيم والتفخيم :

[١] ينظر : مجمع البيان : ١ / ٣٨٨ – ٣٩٢.
[٢] ينظر : الكشاف : ٤ / ٥٨ – ٥٩، ومجمع البيان : ٥ / ٢٢٦ .

التعظيم ، والتفخيم لفظان مترادفان ، وهما مصدران على وزن (تَفْعِيْلٌ) ، من الفعلين (عَظَّمَ ، فَخَّمَ) مضعف الوسط (العين) فيدغم في مثله ، كـ (فَسَّر) (تفسيراً). وهما بمعنى التبجيل أيضا[١].

وقد أشار الطباطبائي إلى هذه الدلالة في مواضع كثير من تفسيره . ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ الحاقة ۞ ما الحاقة ۞ وما أدراك ما الحاقة ﴾ (الحاقة / ١ – ٣)، يرى الطباطبائي : أن الحاقة هي القيامة ، وسميت أيضا (القارعة) ، و(الواقعة) ، والمراد بـ (الحاقة) هي القيامة الكبرى ، سميت بها لثبوتها ثبوتاً لا مرد له ، ولاشك فيه ، من حق الشيء بمعنى ثبت وتَقَدّرَ واقعاً و (ما) في الحاقة استفهامية تفيد التفخيم ، ولذلك وضع الظاهر موضع المضمر، ولم يَقُلْ ما هي، الجملة الاستفهامية (ما الحاقة)، وقوله : ﴿ الحاقة ۞ ما الحاقة ﴾ مسوق لتفخيم أمر القيامة، وتعظيم حقيقتها إفادة بعد إفادة وقوله : ﴿ وما أدراك ما الحاقة ﴾ خطاب ينفي العلم بحقيقة اليوم، وهذا التعبير كناية عن أهمية الشيء، وكماله وبلوغه الغاية في الفخامة[٢] . وقد التفت الزمخشري ، والطبرسي إلى هذه الدلالة فأَصل الحاقة : أي شيء هي تفخيما لشأنها، وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر؛ لأنه أهون لها وما أدراك أي : لا علم لك بكنهها، ومدى عِظَمِها بحيث أنها في العِظَم والشدة لا سبقه دراية أحد، ولا حتى وهمه[٣] ، وهي اسم من أسماء القيامة في قول المفسرين جميعهم وسميت بذلك، لأنها ذات الحواق من الأمور ، وهي الصادقة

[١] ينظر : مختار الصحاح : (عظم) ٣٩٣.
[٢] ينظر : الميزان : ١٩ / ٤٠٩.
[٣] ينظر : الكشاف : ٤ / ١٤٩.

الواجبة الصدق ، وما الحاقة ؟ استفهام يفيد التفخيم لحالها، والتعظيم لشانها، ثم زاد سبحانه في التهويل فقال: ﴿وما أدراك ما الحاقة﴾[١].

ويرى الطباطبائي في تفسير قوله تعالى : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ (الزلزلة/ ١)، الزلزال مصدر كالزلزلة، وإضافته إلى ضمير الأرض يفيد الاختصاص، والمعنى إذا زلزلت الأرض زلزلتها الخاصة بها فيفيد التفخيم والتعظيم أي إنها متناهية في الشدة والهول[٢] .

ونلمح هذه الدلالة عند الزمخشري ، والطبرسي وغيرهما وإن لم يصرحا بها قال الزمخشري : " معنى زلزالها بالإضافة ، زلزالها الذي يستوجبه في الحكمة وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ، ونحو القول : أكرم التقي إكرامه واهين الفاسق إهانتهُ تريد ما يستوجبانه من الإكرام و الإهانة "[٣].

وقال الطبرسي : " إن الزلزلة شدة الاضطراب والزلزال المصدر أي إذا حركت الأرض تحريكاً شديداً لقيام الساعة زلزالها التي كتب عليها وإضافتها إلى الأرض يمكن أن تكون تعم جميع الأرض بخلاف الزلزال المعهود الذي يختص بعض الأرض فيكون قوله زلزالها تشبيهاً على شدتها "[٤].

ويمكن أن نضم إلى هذه الدلالة دلالة التهويل والوعيد .. قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى : ﴿ ويلٌ يومئذٍ للمكذّبين ﴾ (المرسلات / ١٥)، فقد تكرر الويل عشر مرات في هذه السورة، والويل هو الهلاك، وهو بمثابة دعاء على المكذبين، والتقدير : فإذا كان كذا، وكذا أي من الأهوال والآيات الدالة على وقوع يوم القيامة ، وقع ما توعدون من العذاب على التكذيب ، أو إذا كان

---

[١] ينظر : مجمع البيان : ٥ / ٣٤٣.
[٢] ينظر : الميزان : ٢٠ / ٣٩٢ – ٣٩٤.
[٣] الكشاف : ٤ / ٤٧٦ – ٤٧٧.
[٤] مجمع البيان / ٥ / ٥٤٦ – ٥٤٧ .

كذا، وكذا كان يوم الفصل، وهلك المكذبون[١]. ويظهر أن الطباطبائي قد أفاد في تفسير دلالة هذا التكرار من خلال بيان دلالته ممن سبقه كـ (الزمخشري)، و (الطبرسي)، قال الزمخشري : " ويل يومئذ للمكذبين ، هذا تهديد ووعيد مِمَّن جحدوا يوم القيامة وكذّبوا به ؛ لأن التكذيب تبعه بذلك ارتكاب المعاصي كلها والعامل في الظرف محذوف أي : إذا وقعت الآيات الدالة على يوم القيامة من شق الجبال، وطمس النجوم وقعت القيامة، وهذا التكرار للتهويل والوعيد وثبات الهلاك[٢] .

ثالثا : دلالة الإرشاد والترغيب :

الإرشاد ، والترغيب فيما يفهم من كلام الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ هـ) إنهما بمعنى السعي إلى الهداية والرغبة في الشيء[٣] وهي دلالة بمعنى الحث على الشيء والترغيب فيه والتوجه إليه[٤] قال الطباطبائي في تفسير قوله : ﴿ كتب عليكم القتال وهو كرهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (البقرة / ٢١٦)، إذ إنّ أمثال عسى ولعل في كلامه تعالى مستعمل في معنى الترجي فالله تعالى حينما يقول عسى أن يكون كذا وكذا ، لا لأنه يرجوه ، تعالى عن ذلك بل ليرجوه المخاطب ، أو السامع وتكرار عسى في الآية الكريمة لكون المؤمنين كارهين للحرب محبين للسلم ، فأرشدهم تعالى على خطأهم في الحالين، ومعنى الكلام انه لا عبرة بحبكم، ويكرهكم فأنهما ربما يخطئان الواقع ، ولو قيل عسى

[١] ينظر : الميزان : ٢٠ / ١٦٤.
[٢] مجمع البيان : ٥ – ٤١٥.
[٣] مفردات ألفاظ القران : الراغب الأصفهاني : ٣٥٨ .
[٤] ينظر : مختار الصحاح : ٢٤٣ – ٢٤٤ .

مرة واحدة إنما يكون ، هذا لمن اخطأ خطأ واحدا لا غير، وأما من أخطأ خطأين ، فالذي تقتضيه البلاغة أن يشار إلى خطئه في الأمرين جميعا فيقال له : لا في كرهك أصبت، ولا في حبك اهتديت، وعسى أن تكره شيئاً وهو خير لك وعسى أن تحب شيئاً وهو شر لك ؛ لأنك جاهل لا تستطيع أن تهتدي بنفسك إلى حقيقة الأمور[١].

ونلمح الدلالة نفسها لدى الزمخشري والطبرسي من قبل، قال الزمخشري : " جميع ما كلفوه فإن النفس تكرهه ، وتُحْب خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك ، أو يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقول: فإنما هي " إقبال وإدبار" كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له ويجوز بمعنى[٢] " الإكراه على طريق المجاز كأنهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقتهم عليه ".

في هذا التفسير نستخلص إن تكرار لفظة " عسى " تفيد الترغيب على القتال والجهاد في سبيل الله .

ويرى الطبرسي : " إنكم قد تكرهون شيئاً في الحال، وهو خير لكم من عاقبة أمركم كما تكرهون القتال لما فيه من المخاطرة بالروح وفيه خيركم، فهو إما ظفر وغنيمة، وإما شهادة وجنة ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو القعود عن الجهاد ومحبة الحياة وما فيه من الذل والفقر في الدنيا وحرمان الأجر في العُقبى "[٣].

رابعا : دلالة التخصيص :

---

[١] ينظر : الميزان : ٢ / ١٦٨ – ١٦٩.
[٢] الكشاف : ١ / ٣٥٦.
[٣] مجمع البيان : ١ / ٣١٠ – ٣١١ .

التخصيص : " هو قصر العام على بعض منه بدليل مستقل مقترن به، واحترز بالمستقل عن الاستثناء، والشرط، والغاية، والصفة، فإنها وان لحقت بالعام لا يسمى مخصصا ويقوله مقترن عن النسخ نحو : ﴿ خالق كل شيء﴾ (الرعد / من الآية ١٦)، إذ يعلم ضرورة إن الله تعالى مخصص منه "[١].

ويرى الطباطبائي : في تفسير قوله تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ﴾ (البقرة / من الآية ٢٦١)، و ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾ (البقرة / من الآية ٢٦٢)، و ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله﴾ (البقرة / من الآية ٢٦٥)، و ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ﴾ (البقرة / من الآية ٢٦٧)، و ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم ﴾ (البقرة / من الآية ٢٧٠)، و ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ﴾ (البقرة / من الآية ٢٧٢)، "إن سياق الآيات من حيث اتحادها في بيان أمر الإنفاق، ورجوع مضامينها، وأغراضها بعضها إلى بعض تحث المؤمنين على الإنفاق في سبيل الله تعالى، حيث يفصل صور الإنفاق، ووجهه وغرضه وهو أن يكون لله لا للناس، وثانياً صورة عمله وكيفيته وهو أن لا يتعقبه مَنٌّ ولا أذىً، وثالثاً وصف مال الإنفاق وهو أن يكون طيباً ، لا خبيثاً، ورابعاً نعت مورد الإنفاق وهو أن يكون فقيراً أُحْصِرَ في سبيل الله ، خامساً ما لهذا الإنفاق من عظم الأجر عاجلاً وآجلاً"[٢].

وهذا دليل على أن كل آية لها غرض خاص في ذلك الاتفاق، وهو دلالة التخصيص، واللحاظ في ذلك الاتفاق ، وقد ألمح الطبرسي إلى هذه الدلالة ، فنرى أن الآية عامة في النفقة والجهاد ، وغيره من أبواب البر كلها فحين أمر

---

[١] التعريفات : ٧٦.
[٢] الميزان : ٢ / ٢٨٦ – ٢٨٧.

تعالى بالإنفاق عقبه بيان كيفية الإنفاق، وإن لا يتبعوا نفقاتهم أذى كأَن يقول : " أَلَمْ أُعطك ؟، ألم أُحسن إليك؟ ونحوها ثم بين صفة الصدقة والمتصدق عليه ليكون البيان جامعاً ثم بين إن نفقة البر فلأنفسكم ثوابه وغرضه الترغيب في الإنفاق[١]. فهي عند الطبرسي فيها دلالة الغرض الخاص والترغيب أيضا .

قال الطباطبائي فيما يتعلق في البسملة في مبتدأ كل سورة أنها راجعة إلى الغرض الخاص في تلك السورة[٢].

ويرى الزمخشري والطبرسي فيما يتعلق بدلالة التكرار في البسملة، قال الزمخشري: " وذهب قراء المدينة والبصرة والشام وفقهائها على إن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور، وإنما كتبت للفضل والتبرك بالابتداء بها كما بدأ بذكرها في كل أمر ذي بال، وهو مذهب أبي حنيفة ، وقرّاء مكة والكوفة وفقهائها عدُّوها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليها الشافعي وأصحابه "[٣]. وقال الطبرسي : " وفيما يتعلق بالبسملة فقد اتفق أصحابنا على أنها آية من كل سورة وان من تركها في الصلاة بطلت صلاته سواء كانت الصلاة فرضاً، أو نفلاً ولا خلاف في أنها بعض آية من سورة النمل وهي افتتاح التيمن والتبرك[٤] .

وعلى هذا تفرد الطباطبائي في إن آية البسملة راجعة إلى غرض السورة المبتدئة بها في حين لم يعلق الزمخشري ، والطبرسي على الغرض من هذا التكرار في بدء كل سورة .

---

[١] ينظر : مجمع البيان : ١ / ٣٧٤ – ٣٨٦، وينظر : الكشاف : ١ / ٣٩٣ – ٣٩٦.
[٢] ينظر الميزان : ١ / ١٩.
[٣] الكشاف : ١ / ٢٤ – ٢٥ .
[٤] مجمع البيان : ١ / ١٨

خامسا : دلالة التأليف :

التالف والتأليف : " هو جعل الأشياء الكثيرة بحيث لا يطلق عليها اسم الواحد سواء كان لبعض أجزائه نسبة إلى البعض بالتقدم والتأخر، أم لا فعلى هذا يكون التأليف أهم، وأعم من الترتيب "[١].

قال الطباطبائي في ما يتعلق بتكرار لفظة " سورة " في القرآن الكريم إذ انه سبحانه وتعالى كرر ذكر السورة في كتابه الكريم كقوله تعالى : ﴿ فأتوا بسورة مثله ﴾ (يونس/ من الآية ٣٨)، و ﴿ فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ (هود / من الآية ١٣) ، و ﴿ وإذا أنزلت سورة ﴾ (التوبة / من الآية ٨٦) ، و ﴿ سورة أنزلناها وفرضناها ﴾ (النور/ من الآية ١)، قال : "إن المراد من تكرار هذه اللفظة، والتي جعل لكل منها طائفة من هذه الطوائف والتي فصلها قطعاً قطعاً ، وسمى كل قطعة سورة، أراد بها نوعاً من وحدة التأليف والانسجام والتمام لا يوجد بين أبعاض من سورة، ولا بين سورة وسورة وهذا يدل على إن الأغراض والمقاصد المحصلة من السور مختلفة ، وإن كل سورة مسوقة لبيان معنى خاص وغرض محصل لا تتم السورة إلا بتمامه "[٢] ولم يتعرض الزمخشري في الكشاف ولا الطبرسي في مجمع البيان إلى هذه اللفظة ((سورة)) ولا إلى بيان ما تنطوي عليه دلالتها.

سادسا : وضع الظاهر موضع المضمر قصد الإيجاز :

وهو أن يضع المتكلم الاسم الظاهر موضع الضمير بقصد الإيجاز ، والبلاغة قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى : ﴿ الحج أشهر معلومات فمن

[١] التعريفات : ٨٠.
[٢] الميزان :١ / ١٩.

فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ (البقرة / من الآية ١٩٧) : " الحج هو العمل

المعروف بين المسلمين : والذي شرعه إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، وكان العرب في الجاهلية يلتزمونه، وقد أمضاه الله سبحانه وتعالى، وفي تكرار لفظة الحج ثلاث مرات في هذه الآية الكريمة من قبيل وضع الظاهر موضع المضمر لطف الإيجاز ، فالمراد بالحج الأول زمان الحج، والثاني نفس العمل، والثالث زمانه ومكانه، ولولا الإظهار، لكان التعبير يحتاج إلى إطناب غير لازم"[١] .

وفي ذلك يقول الزمخشري : "والحج هنا يعني وقت الحج (أشهر) وتوقيت الحج هنا له فائدة وهي إنّ شيئاً من أفعال الحج لا يصح إلا منها، والإحرام في الحج لا يعقد في غيرها"[٢]. ويقول الطبرسي في ذلك : " الحج أشهر معلومات أي مؤقتة معينة لا يجوز فيها التبديل والتغيير بالتقديم والتأخير اللذين كان تفعلهما النسأة الذين أنزل فيهم ، فمن أحرم في هذه الأشهر، وهي شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة فمن أحرم فيهن بالحج، أو العمرة التي يتمتع بها إلى الحج فلا رفث، ولا فسوق وهي معاصي الله كلها"[٣].

سابعا : دلالة الإلزام واللزوم :

ومعناه في الاصطلاح إن الناثر والناظم يُضَيّق على نفسه في التزامه مؤاخاة ألفاظ التسجيع والتنزيل : ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ۞ وأما السائل فلا

[١] الميزان : ٢ / ٨.
[٢] الكشاف : ١ / ٣٤٦.
[٣] مجمع البيان : ١ / ٢٩٤.

تنهر ﴾ (الضحى/ ٩ – ١٠)، وكقول عثمان : " لا يكن حبك كلفاً، ولا بغضك تلفاً "[١] قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ (الرحمن / ١٣)، "حيث تكرر في السورة المباركة (٣١ مرة)، والآلاء جمع أَلَىً بمعنى النعمة"[٢].

بعدما أشار سبحانه وتعالى في بدء السورة إلى خلقه العالم بأجزائه من سماء ، وأرض ، وبحر ، وجن ، وإنس ، بشكل نظام متناسق الأجزاء ، بحيث يتمتع به الثقلان (الجن والإنس) وهذه من نعمه كلها ، ولذا يستفهمهم مرة بعد مرة استفهاماً مشوباً بعتاب فقال عز وجل : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ والخطاب للثقلين عامة ، ويفيد تكرار الخطاب نحو : يا شرطي اضرب عنقه، أي : اضرب عنقه، وما يستلزم هذا الخطاب من سوق المسيئين في يوم القيامة إلى ما تقتضيه شقوتهم، ومجازاتهم بتبعات أعمالهم من لوازم صلاح النظام العام الجاري في الكل الحاكم على الجميع وإثابة أهل الصلاح بالثناء الجميل والأجر الحسن وهذا ما نجده في السنن والقوانين الجارية في المجتمع ، أي إلزام كل من الثقلين (جن وإنس) بأعمالهم ولزوم محاسبتهم عليها "[٣].

وقد وجه الزمخشري هذه الآية : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ للثقلين بدلالة الإنعام عليها في ﴿ والأرض وضعها للأنام ﴾ (الرحمن / ١٠) إذ أورد الجمل ، والآيات الأول من دون عاطف على سنن التعديد لِتكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقريع الذين أنكروا الرحمن وآلاءه ، كما يُبَكّت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه ، ثم رد الكلام إلى منهاجه بعد التأكيد في وصول ما يجب وصوله للناس والتقارب والتعاطف"[٤].

---

[١] التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القران : ابن الزملكاني : ٥٧.
[٢] ينظر : مختار الصحاح (ألا) : ٢٣.
[٣] الميزان : ١٩ / ٩٧ – ١٠٣.
[٤] الكشاف: ٤ / ٤٤.

و يرى الطبرسي في تفسير هذه الآية ، أي فبأي نِعَم ربّكما تكذبان، لأنَّها كلها منعم عليكم بها، والمعنى أنه لا يمكن جحد شيء من هذه النعم ووجه تكرار هذه الآية الكريمة إنما هو التقرير بالنعم المعدودة والتأكيد في النذير بها كلها ، فكلما ذكر سبحانه نعمة انعم بها كرّر عليها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره : أما أحسنت إليك حين أطلقت لك مالا ، أما أحسنت إليك حين ملكتك عقارا ، فيحسن فيه التكرار لاختلاف ما يقرره به ومثله كثير في كلام العرب وإشعارهم قال مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليبا :

على أنَّ ليس عدلاً من كُلَيْبٍ إذا طُرِد اليتيمُ عن الجَزُوْرِ
على أنَّ ليس عدلاً من كُلَيْبٍ إذا ما ضِيْمَ جيرانَ المُجيرِ
على أنَّ ليس عدلاً من كُلَيْبٍ إذا رَجَفَ العَضَاةُ من الدبّور
على أنَّ ليس عدلاً من كُلَيْبٍ إذا خَرَجَتْ مُخَبَّأةَ الخُدُورِ[1]

ومن هذا نستنتج أن دلالة لزوم ما يلزم قد تفرد بها الطباطبائي ، إذ عد كل من الزمخشري ، والطبرسي هذا التكرار لدلالة التأكيد ، والتقرير بالنعم.

ثامنا : دلالة الالتفات :

هو إن تعدل من الغيبة إلى الخطاب[2] أو من الغيبة إلى التكلم كما في قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ۞ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ (الفاتحة / ٤ ، ٥) ، وكقوله تعالى : ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريحٌ عاصف وجاءهم الموج من

[1] مجمع البيان : ٥ / ٢٥١.
[2] التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القران :١٧٣.

كل مكان ﴾ (يونس / من الآية ٢٢) ، وكقوله تعالى : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت﴾ (الأعراف / من الآية ٥٧).

وقد جمع امرؤ القيس بين الالتفاتات الثلاث في ثلاثة أبيات وهي قوله من المتقارب :

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بالأَثْمَدِ ... ونَامَ الخَلِيُّ ولـمْ يَرْقُدِ
وبَاتَ وبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ ... كَلَيْلَةِ ذي العاثرِ الأرْمَدِ
وذلك في نَبَأٍ جَاءَنِي ... وَخَبَّرْتُهُ عَن أبي الأسْوَدِ[1]

قال الطباطبائي في قوله تعالى : ﴿ يا مريم اقنتي لربك واسجدي ﴾ (آل عمران / من الآية ٤٣)، " والآية : ﴿ يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ (آل عمران / ٤٣) ، لما كان النداء بوجوب تلفيت نظر المنادى ((اسم مفعول)) وتوجه فهمه نحو المنادي (اسم فاعل) كان تكرار النداء في المقام بمنزلة أن يقال لها : إن لك عندنا نبأٍ بعد نبأٍ فاسمعي لهما، وأصغي إليهما : أحدهما ما أكرمك الله به من منزلة، وهو مالك عند الله ، والثاني ما يلزمك من وظيفة العبودية، وهو ما لله سبحانه عندك فيكون هذا إبقاء للعبودية وشكراً للمنزلة "[2].

تاسعاً : دلالة الاهتمام بالأمر والاعتناء به :

[1] م . ن : ١٧٣ – ١٧٤.
[2] الميزان : ٣ / ٢١٨ – ٢١٩.

وهي دلالة إرادة الشيء ، والولوع به ، جاء في اللغة " اهتمَّ له بأمِرِهِ "[1].
قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ (البقرة / من الآية ٢٢٨) ، و ﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف ﴾ (البقرة / من الآية ٢٢٩)، و ﴿ إذا تراضوا بينهم بالمعروف ﴾ (البقرة / من الآية ٢٣٢) ، و ﴿ متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين ﴾ (البقرة / من الآية ٢٣٦) ، و ﴿ فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف ﴾ (البقرة / من الآية ٢٤٠)، و ﴿ وللمطلقات متاعٌ بالمعروف ﴾ (البقرة / من ٢٤١) ، " المعروف هو الذي يعرفه الناس بالذوق المكتسب في الحياة الاجتماعية المتداولة ، وقد كرر سبحانه وتعالى المعروف في هذه الآيات فذكره في اثنتي عشرة مرةً اهتماماً منه سبحانه على أن يجري هذا الأمر، وهو الطلاق ، وما يلحق به من تبعات على سنن الفطرة ، والسلامة حيث جعل الإسلام للمرأة من الأحكام مثل ما عليه مع حفظ مالها من وزن في الحياة الاجتماعية في اجتماعها مع الرجل ووظيفتها في الأسرة والمجتمع ككل فقيّدَ الإمساك بالمعروف ، وهذا من لطف العناية الإلهية "[2].

وقد وجه الطبرسي الكلام في هذه الآيات فقال : " المعروف هنا وسطاً ليس فيه إسراف ولا تقييد وقيل : معتبرا بحالهما جميعا ولا يسوّي بين حرة وشريفة وبين أمه مُعتَقَة فالمعاني التي أشار إليها الطبرسي لكلمة المعروف المكررة في هذه الآيات المباركات تحمل دلالات متقاربة فهي ما بين الحلال واليسار ، والأمر الوسط ما بين التقتير ، والإسراف ، وعدم الإضرار وهذه المعاني تدل على عناية الله بالمرأة في وضعها الاجتماعي وموقعها في الأسرة

[1] مختار الصحاح : (همّ) : ٦٩٩.
[2] الميزان : ٣ / ٢١٨ – ٢١٩.

بما يوازن موقع الرجـل "[١] ولم يتعرض الزمخشري لظاهرة التكرار في هذه اللفظة " المعروف " في هذه الآيات المباركات .

عاشراً : دلالة الاستيعاد والعود :

العَوْد ، والاستيعاد " الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه إما انصرافا بالذات ، أو بالقول والعزيمة "[٢] وقد أشار الطباطبائي الى هذه الدلالة ؛ ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ ءإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءإنا لمبعوثون ۞ أو ءاباؤنا الأولون ﴾ (الصافات / ١٦ – ١٧) ، و ﴿ ويقولون ءإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ (الصافات / ٣٦) ، و ﴿ ءإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءإنا لمدينون ﴾ (الصافات / ٥٣) ، فتكرر الاستفهام الإنكاري في هذه السورة على لسان الكفار ، وفي هذا التكرار دليل على إنكار الكفار البعث ، وهو مبني على الاستبعاد فمن المستبعد عند الوهم أن يموت الإنسان ويتلاشى بدنه ، ويعود ترابا ، وعظاما ثم يعود إلى صورته الأولى وقد انمحت رسومه، وانطمس أثره ، وقد كان إنكارهم لاستبعاد آبائهم أشد إنكاراً من استبعادهم أنفسهم ، ولو كان إنكارهم البعث مبنياً على أنهم ينعدمون بالموت تستحيل إعادتهم كان الحكم فيهم، وفي آبائهم على نهج واحد ولم يحتج إلى تحديد استفهام في ما يخص إباءهم وهذا التكرار مسوق لتأكيد استبعادهم، وعودتهم مرة ثانية إلى الحياة"[٣].

[١] ينظر : مجمع البيان : ١ / ٣٣١ – ٣٣٧ .
[٢] مفردات ألفاظ القران : (عود) : ٢٩٣.
[٣] الميزان : ١٧ / ١٣٠ – ١٣١.

ولم يتعرض الزمخشري ، والطبرسي لهذه الدلالة بل تفرّد الطباطبائي بها .

الحادية عشرة : دلالة التعليل :

التعليل : " هو تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر وهو انتقال الذهن من المؤثر إلى الأثر كانتقال الذهن من النار إلى الدخان ، وقيل : التعليل هو إظهار علة الشيء سواء كانت تامة أو ناقصة ، والصواب إن التعليل هو تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر "[١].

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين ... واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ﴾ (البقرة / من الآية ٢٨٢) " فقد تكرر لفظ الجلالة ثلاث مرات هنا وقوله : ﴿ واتقوا الله ﴾ أمر بالتقوى فيما ساقه الله إليهم في هذه الآية في الأمر والنهي و ﴿ ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ﴾ ، كلام مستأنف مسوق في مقام الامتنان فيتعلم الإنسان شرائع الدين ومسائل الحرام والحلال ويؤيد هذا التكرار لفظ الجلالة ثانيا فانه لولا كون قوله : "ويعلمكم الله كلاماً مستأنفاً" كان مقتضى السياق أن يقال : " تعلمكم بإضمار الفعل ، ففي قوله تعالى : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ﴾ أظهر الاسم أولاً، وثانياً لوقوعه في كلامين مستقلين واظهر ثالثاً ليدل به على التعليل وكأنه قيل : هو بكل شيء عليم ؛ لأنه الله[٢].

الثانية عشرة : دلالة التعلق :

[١] التبيان في علم البيان على إعجاز القران : ٨٩ – ٩٠.
[٢] الميزان : ٢ / ٤٤.

التعلق : التشبث بالشيء ، يقال : " علق الصيد في الحبالة ، وأَعلق الصائد : إذا علق الصيد في حبالته ، (...) ومنه العلقة لما يتمسك به[١] . و " العلاقة بالكسر علاقة القوس والسوط ونحوهما "[٢] .

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الناس ۞ ملك الناس ۞ إله الناس ﴾ (الناس / ١ – ٣) . " وأما وجه تكرار لفظ الناس في غير إنّ يقال : ربهم، وإلههم، فقد أشير به إلى أن كلاً من الصفات الثلاث يمكن أن يتعلق لها العود وهذه في غير ذكر الآخر بين استقلالها، ولله الأسماء الحسنى جميعا"[٣] وهو اختيار الزمخشري[٤]، وذهب الزركشي إلى أن دلالة التكرار في لفظ الناس مراعاة للتجنيس[٥].

الثالثة عشرة : دلالة السياق ومشاكلة اللفظ :

السياق من الفعل (سَاقَ) يَسُوقُ ، يقول : سَوْقُ الإبِلِ : جَلْبُهَا وَطَرْدُها (...) وسقت المهر إلى المرأة أرسلته ، ومنه جاء السياق في الكلام بمعنى يجر بعضه بعضاً . ويسير بعضه إلى بعض[٦] .

وقد أشار الطباطبائي إلى هذه الدلالة . ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ۞ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ (القيامة / ١ – ٢) ، فقال : " فهو أقسام بيوم القيامة سواء قيل يكون (لا أقسم) كلمة قسم، أو تكون (لا

[١] مفردات ألفاظ القران (علق) : ٥٧٩.
[٢] مختار الصحاح : (علق) : ٤٥٠.
[٣] الميزان : ٢ / ٤٥٩.
[٤] ينظر : الكشاف : ٤ / ١٢٩.
[٥] ينظر : البرهان في علوم القران : ٢ / ٤٩٧.
[٦] ينظر : مفردات ألفاظ القران : (ساق) : ٤٣٦ ، وينظر : مختار الصحاح : ساق : ٣٤٢ .

زائدة) أو نافية ، وفيما يخص الآية الثانية إقسام كائن على ما يقتضيه السياق، ومشاكلة اللفظ "[١].

وقال الزمخشري : "إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلام العرب وإسفارهم قال امرؤ القيس :

لا وأبِيكِ ابنةُ العامرِيّ لا يَدّعِي القومُ أنِّي أفِرْ

وفائدتها توكيد القسم، والمعنى أنه لا يقسم بالشيء لا إعظاماً له، وقُرئ (لأُقْسِمَ) واللام للابتداء، وأُقْسم خبر مبتدأ محذوف"[٢].

وقال الطبرسي : " لا اقسم بيوم القيامة قيل إن (لا) صلة ومعناها اقسم بيوم القيامة عن ابن عباس، وسعيد ابن جبير وقيل : إنَّ (لا) ردٌّ على الذين أنكروا البعث، والنشور من المشركين فكأنه قال : لا كما تظنون ولا أقسم بالنفس اللوامة قَسَمٌ آخر يقتضيه تشاكل الكلام "[٣].

الرابعة عشرة : دلالة الترتيب :

الترتيب : مصدر من الفعل (رَتّبَ) ، مضعف الوسط على وزن (فَعّلَ) . والرتبة والمرتبة ، المنزلة، و(رَتّبَ الشيءَ) ثَبّتَ ، وأمرٌ راتبٌ ، أي دائم ثابت[٤].

وقد أشار الطباطبائي إلى هذه الدلالة إشارة خفية ، نفهمها من سياق كلامه فقد فسر قوله تعالى : ﴿ وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون ﴾ (الأنعام / ٦٩)، قال : " إن المراد بالتقوى في قوله : ﴿ وما على الذين يتقون من حسابهم ﴾ التقوى العام هو الاجتناب ، والتوقي

[١] الميزان : ٢٠ / ١٢٣ .
[٢] الكشاف : ٤ / ١٨٩ – ١٩٠ .
[٣] مجمع البيان : ٥ / ٣٩٤ .
[٤] ينظر : مختار الصحاح : (رتب) : ٢٣٢ .

عن مطلق ما لا يرتضه الله تعالى وفي قوله : ﴿ لعلهم يتقون ﴾ التقوى من خصوص معصية الخوض في آيات الله، أو المراد بالتقوى ، الأولى أصل التقوى ، وبالثاني تمامه ، أو الأول إجمال التقوى ، والثاني تفصيله بفصلية الانطياف على كل مورد منها ، ومنها مورد الخوض في آيات الله وهنا معنى آخر : وهو إن يكون المراد بالأول تقوى المؤمنين بالتقوى، والثاني تقوى الخائضين"[١].

ومن هذا المبحث نستخلص أهمية دلالة التكرار لدى الطباطبائي بحيث فاقت هذه الدلالة ، أو الظاهرة بما احتوته من الدلالات العديدة والمتنوعة ما كان لدى المفسرين الآخرين ونجد إن من هذه الدلالات ما تفرد به الطباطبائي إذ لم يشر إليها ممن سبقوه من المفسرين حيث أن هنالك دلالات لم يتعرض لها الزمخشري والطبرسي في تفسيرهما وقد ذكرنا من هذه الدلالات ما كان قد تكرر لدى الطباطبائي، وأكّده عليه وأشار إليه مع إننا أغفلنا الكثير بقصد الإيجاز والاختصار.

وبعد هذا البيان لدلالات التكرار الواردة عند الطباطبائي في تفسير الميزان نجد أن الطباطبائي قد ذكر دلالات كثيرة ، اقتصرنا على ما ذكرها صراحة وذكرنا بعضا منها ما أشار إليها تلميحاً ، تُفهم من خلال السياق ، وقد تفرد الطباطبائي بدلالات لم يذكرها السابقون ويبدو أن إعمال الآليات التفسيرية المختلفة التي اعتمدها الطباطبائي كان لها اليد الطولى في ذكر هذه الدلالات المختلفة ، ولا ريب في ذلك فهو الأصولي ، والفيلسوف ، واللغوي ، والنحوي[٢].

---

[١] الميزان : ٧ – ١٤٦.

[٢] ينظر : البحث الدلالي في تفسير الميزان (المقدمة) : (أ) ، والدلالة القرآنية في فكر السيد الطباطبائي : ٣، والدرس النحوي في تفسير الميزان (رسالة ماجستير) : ٩.

الخاتمة ونتائج البحث

إن أهم ما تمخض عنه البحث بخصوص ظاهرة دلالة التكرار التي عني بها العلماء والمفسرون العرب القدماء ، والمحدثون ، التي أخذت من عصارة فكر السيد الطباطبائي الثاقب ، وعقله المستنير ما أضاف إليها ، وأغناها ، فقد أشار إلى دلالات هذه الظاهرة في المواضع التي ورد فيها التكرار في القران الكريم ، فجاء تفسيره وهو مشحون بهذه الدلالات المختلفة، ولا غرابة في ذلك بما يمتلكه من ذهنية وقادة، وفكر خصب، ومن نتائج البحث ما يأتي :

١. ظهر أن السيد محمد حسين الطباطبائي من المفسرين الذين تمتعوا بقابلية على استنباط الأحكام الشرعية فهو مجتهد له مكانة علمية في التدرج العلمي وقد اضطلع بعلوم كثيرة منها (علم الفقه والأصول، وعلم اللغة، وعلم الفلسفة، وعلم الكلام).
٢. جعل الطباطبائي تفسيره ميزاناً ومقياساً لمعرفة وزن التفاسير الأخرى ومن هنا جاءت تسميته بـ (الميزان)، وقد حظي هذا التفسير باهتمام الباحثين والدارسين.
٣. ظهر أن دلالة التكرار في تفسير الميزان لم يتعرض إليها مَنْ كتب عن هذا التفسير، فالدكتور مشكور العوادي في البحث الدلالي في تفسير (

الميزان) والدكتور رحيم الشريفي في الدرس النحوي في تفسير (الميزان) والشيخ حسن الفقيه في الدلالة القرآنية ، وغيرهم لم يقفوا عندها ، وهذا أمر يحسب للبحث ، فكان بحث الطباطبائي في ظاهرة التكرار بحثاً واضحاً ، فقد أولى هذه الظاهرة من العناية بالقدر الذي جعل من تفسيره تفسيراً تكثر فيه دلالات التكرار.

٤. ذكر الطباطبائي لظاهرة التكرار دلالات إضافية لم يذكرها من قبله ولم يتعرض لها المفسرون كـ (الزمخشري في الكشاف) ، و (الطبرسي في مجمع البيان).

٥. وعلى الرغم من اهتمام الطباطبائي بهذه الظاهرة وتفسيرها معتمداً على ما أوتي من علم بالأصول ، والفقه ،واللغة ، والبلاغة ، لكنه لم يستوعبها جميعا أي لم يتحدث عن جميع الآيات التي ورد التكرار فيها بل اكتفى منها بما يَعِنُّ له ، ومع هذا فمن الممكن أن أدلي برأي المتواضع الذي أفدته من خلال استقرائي الدقيق لتفسير الميزان من خلال بحثي لظاهرة التكرار ، إن الطباطبائي لم يتعرض في بحث هذه الظاهرة للآيات القرآنية كلها التي وردت فيها هذه الظاهرة ، ولم يستوعبها جميعا ،ولكنه اكتفى منها بالقدر المهم ، والمتميز مما جعل تفسيره مميزاً بهذه الظاهرة ، وهذا آخر ما نختُم به بحثنا (دلالة التكرار عند الطباطبائي في تفسير الميزان) والحمد لله أولاً و آخراً.

المصادر والمراجع

- القران الكريم
- أساس البلاغة : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ) ، الطبعة الأولى الشركة الدولية للطباعة ، القاهرة – مصر ٢٠٠٣م.
- أساليب البيان في القران ، جعفر الحسيني الطبعة الأولى ، مؤسسة الطباعة والنشر ، طهران ، إيران ، ١٤١٣هـ – ٢٠٠٢م.
- إعجاز القرآن : أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق : السيد أحمد صقر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، (د . ت).
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي، الطبعة الثامنة، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م.
- تأويل مشكل القرآن : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، علق عليه : إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٢.
- التفسير البياني للقرآن الكريم : عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف، مصر ، ١٩٦٢م .
- البحث الدلالي عند السيد محمد محمد صادق الصدر (ت ١٩٩٩م – ١٤١٩ هـ)، الدكتور رحيم كريم الشريفي ، الطبعة الأولى ، منشورات مؤسسة النجف الإسلامية، ٢٠٠٧م .

- البحث الدلالي في تفسير الميزان (دراسة في تحليل النص) : الدكتور مشكور كاظم العوادي ، الطبعة الأولى ، مؤسسة البلاغ – بيروت – لبنان ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- البرهان في علوم القران : الإمام بدر الدين بن عبد الله الزركشي (ت ٧٤٩هـ) : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، ١٩٥٧م.
- تاج العروس في شرح جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) منشورات دار مكتب الحياة ، بيروت ، لبنان ، (د ، ت).
- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القران لابن الزملكاني (ت ٦٥١ هـ) تحقيق د. احمد مطلوب، د. خديجة الحديثي الطبعة الأولى مطبعة العاني – بغداد ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٤م .
- التعريفات : السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين أبي الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي (ت ٨١٦هـ)، تحقيق : الدكتور عبد الرحمن عميرة : الطبعة الأولى، عالم الكتب بيروت – المزرعة – بناية الإيمان ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م .
- الدلالة القرآنية في فكر محمد حسين الطباطبائي (الميزان نموذجا) : الشيخ شبر الفقيه، الطبعة الأولى، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م .
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها : تأليف العلامة الإمام أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) من لغويّ القرن الرابع الهجري علّق عليه ووضع هوامشه : أحمد حسن بسج، الطبعة الأولى ، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤١٥ هـ – ١٩٩٧م .

- الطراز (المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم وحقائق الإعجاز) : الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني مراجعة وضبط وتدقيق " محمد عبد السلام شاهين " الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م .
- ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين : البدراوي زهران ، الطبعة الأولى، دار المعارف – القاهرة ، ١٩٨٨ .
- العين – الخليل بن احمد الفراهيدي (ت / ١٧٥ هـ) ، تح : الدكتور مهدي المخزومي و الدكتور إبراهيم السامرائي ، الطبعة الأولى ، منشورات دار الهجرة، قم ، إيران ، ١٤٠٥ هـ .
- علم اللغة النصي ، بين النظرية و التطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية) صبحي إبراهيم الفقي ، الطبعة الأولى ، دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع القاهرة ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٠ م.
- القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) دار الفكر – بيروت – لبنان ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ) ، الطبعة الأولى ، مطبعة انتشارات اخناب – طهران – إيران – بلاست طبع .
- مجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ أبو علي الفضل بن الحسين الطبرسي تحقيق وتصحيح وتعليق الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ١٢٧٩هـ .

- مختار الصحاح : الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٦٦٦ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م .
- المصباح المنير : أحمد بن محمد بن علي الفيومي المغربي، تحقيق يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، الطبعة الثالثة صيدا – بيروت ، ١٤٢٠ – ١٩٩٩م .
- معترك الأقران في إعجاز القرآن : الإمام أبو الفضل جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، صححه وعلق عليه أحم شمس الدين، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى، بيروت – لبنان ، طبعه وصححه وكتب فهارسه احمد شمس الدين ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .
- مفردات ألفاظ القران : أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥)، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، الطبعة الرابعة ، مطبعة كيميا قم – إيران ، ١٤٢٥ هـ.
- مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن) : الدكتور نصر حامد أبو زيد، الطبعة الثالثة المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٦م .
- منة المنان في الدفاع عن القرآن : السيد محمد محمد صادق الصدر : دار النجوى، بيروت ، (د – ت).
- الميزان في تفسير القران : السيد محمد حسين الطباطبائي ، الطبعة الاولى محققة ومصححة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.
- نحو النص ، نقد النظرية ... وبنا أخرى : د. عمر أبو خرمة عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، عمان – الأردن ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

- النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي) : الدكتور محمد حماسة عبد الطيف ، الطبعة الاولى ، مصر ، ١٩٨٣ م.
- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم : د – محمد محمود حجازي ، ، دار الكتب الحديثة مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.

الرسائل الجامعية :

- الدرس النحوي في تفسير الميزان : رحيم كريم علي حمزة الشريفي ، رسالة ماجستير ، جامعة بابل – كلية التربية ، بإشراف أ . د. صباح عباس السالم ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.